

القرى الريفية بمنطقة بني معوش (بجاية) - قرية بني خيار أنموذجاً - دراسة معمارية أثرية

Rural villages in Beni Maouche (Bejaia) - Village Beni Khiyar - Archaeological study

فؤاد بوزيد

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة (الجزائر)

fouadbouzid703@gmail.com

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الارسال: 2021/05/27 تاريخ القبول: 2021/10/14	تعدّ القرى الريفية شاهدا من الشواهد المادية المعبرة عن الطابع المحلي الأصيل، ذو خصائص ومميزات محلية تفرضها المنطقة؛ فدراسة هذه القرى الريفية تساهم بالكشف عن الشقين العمراني والمعماري لها، المنتشر في منطقة من مناطق الريف البجائي، ألا وهي منطقة بني معوش، وبقرية من القرى الريفية في المنطقة المذكورة أخيرا، ألا وهي قرية بني خيار، وتزخر هاتيه الأخيرة بمعالم أثرية دالة على طابع محلي أصيل، ذو خصائص معمارية اتسمت بالوحدة شكلا ومضمونا، تعددت بتعدد منشآتها المكونة للقرية بني خيار على غرار المنشآت المعمارية الدينية (المساجد الريفية، المدرسة القرآنية)، المنشآت المدنية (المساكن التقليدية)، والمرافق العامة (معاصر الزيتون - الساحة العامة - المقابر - الشوارع الرئيسية والثانوية) هذا من جانب ومن جانب آخر، استخلاص النمط العمراني أو التخطيطي الدال على خطية قرية بني خيار.
الكلمات المفتاحية: ✓ القرى الريفية ✓ المسجد ✓ المسكن التقليدي ✓ القرية ✓ بني معوش ✓ بني خيار ✓ العمارة والعمران	Abstract: Rural villages are a physical witness expressing the authentic local character, with local characteristics and characteristics imposed by the region; One of the rural villages in the area recently mentioned, the village of Beni Khiyar, and the latter is full of monuments indicating an authentic local character, with architectural characteristics characterized by unity in form and content, multiplied by the multiplicity of its structures consisting of the village built-in option style Religious architectural installations (rural mosques, Qur'anic school), civilian installations (traditional dwellings), public facilities (olive contemporaries , public square - cemeteries - main and secondary streets) on the other hand, draw out the urban or schematic pattern indicating the linearity of the village of Beni Khiyar.
Article info Received: 27/05/2021 Accepted: 14/10/2021 Key words: ✓ Rural villages ✓ Mosques ✓ Village ✓ Beni Maouche ✓ Beni Khiyar ✓ Architecture and urbanization ✓ Traditional dwelling	

تعدّ العمارة الريّفية بمناطق بجاية على العموم ومنطقة بني معوش على الخصوص من بين الآثار الهامة التي تصور لنا طبيعة التطور الفكري للإنسان المحلي سواء من الناحية الاجتماعية، والنفسية والاقتصادية، إذ يغلب عليها الطابع المحلي المعبر عن المستوى المعيشي البسيط الذي يعيش فيه الإنسان المحلي، مكتسبةً بذلك أهمية كبيرة لإبراز أصالة المجتمع الريفي، وإثبات هويته الوطنية، بحيث تعتبر العمارة الريّفية شاهدا ماديا ذو خصائص ومميزات محلية تفرضها طبيعة المنطقة، إذ ركزنا في دراستنا على قرية من القرى المنتشرة بالريف البجائي عموما ومنطقة بني معوش خصوصا، ألا وهي قرية بني خيار، وبحكم محافظتها على طابعها التقليدي الريفي الأصيل، فإنّ دراستها ومقارنتها بغيرها من القرى الريّفية المنتشرة بالريف الجزائري ككل، ومنطقة الريف البجائي بالأخص أمر في غاية الأهمية، ومن هنا تمحورت إشكالية الموضوع حول التعرف على **العناصر المشكلة للقرية بني خيار؟ وفيما تمثلت خصائصها المعمارية؟ وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على الدراسة الوصفية والتحليلية والمقارنة في بعض أطواره، واستعنا بمجموعة من الصور التوضيحية والمخططات التي تسهل القراءة الأثرية للمعالم أو العناصر المكوّنة للقرية، وذلك وفق المحاور التالية:**

أولا: مفهوم القرية، **ثانيا:** موقع منطقة بني معوش. **ثالثا:** النظام التخطيطي لقرية بني خيار وموقعها. **رابعا:** العناصر المكوّنة للقرية الممثلة في العناصر الدينية والمدنية، والمرافق العامة. **خامسا:** دراسة تحليلية ومقارناتية للعناصر المكوّنة للقرية.

1. مفهوم القرية

القرية لغة قَرْيَةٌ وَقَرْيَةٌ، جمع قَرْيٌ وَقَرْيٌ⁽¹⁾، وهي كل مكان تتصل به المباني⁽²⁾، كما ورد لفظ القرية في القرآن الكريم في مواضع عدة حيث يقول تعالى في إحداها: ﴿وَلَكِ الْقَرْيُ أَهْلُكُمُهَا لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾⁽³⁾، وقوله تعالى كذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽⁴⁾.

إنّ مفهوم ثادارت (Taddart)، أو إغرم (Igèrm)، أو تاقبيلت (Taqbilt) تعني محليا على التوالي القرية المحصنة أو القصر المحصن، حيث أن القرية في منطقة أو إقليم الريف البجائي تعد كخلية النحل⁽⁵⁾، إذ هي الوحدة السياسية والإدارية الأساسية للمجتمع القبائلي⁽⁶⁾، وعرفت أيضا "كاميل لاكوست ديجردان" أن: "القرية وحدة سياسية وإدارية تقليدية تضم مجموعة من اللجان"⁽⁷⁾، كما تعتبر أيضا القرية الوحدة الاجتماعية للمجتمع القبائلي، إذ يؤكدان هانوتو ولوترنو ذلك في قولهما أن: "القرية هي حجر زاوية للمجتمع القبائلي، بحيث نجد فيها كل العناصر المكوّنة له فتطوره مرتبط بتطور القرية وحياتها، فيكفي دراسة القرية لمعرفة المجتمع القبائلي بأكمله وتفصيله"⁽⁸⁾. فالقرية بالريف البجائي عبارة عن وحدة استقلالية⁽⁹⁾، ومن هنا نستخلص أن القرية عبارة عن وحدة سياسية، إدارية، اجتماعية، واقتصادية، بالإضافة إلى أن النظام

الإجتماعي لها يكتسي صبغة نوعية تتناسب مع خصوصيات البنية الاجتماعية والسياسية للمجتمع القروي القبائلي ككل، وللمجتمع القروي البجائي⁽¹⁰⁾.

2. موقع منطقة بني معوش

1.2. الموقع الفلكي

تقع منطقة بني معوش حسب إحداثيات لامبير ما بين خطي طول س س 653.6 و 666.53، وبين خطي عرض ع ع 4032.75 و 4045.54، المحاطة على مستوى البحر ب 1045م.

2.2. الموقع الجغرافي

تترع منطقة بني معوش على مساحة مقدرة ب 95 كلم²، الواقعة بالجهة الجنوبية الشرقية لولاية بجاية (الخريطة رقم 01)، يحدها من الجهة الشمالية والشمالية الغربية كل من مناطق بني جليل، مسيسنة، وصدوق يليها من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية كل من مناطق بني شبانة، بني موحلي، وفرعون، أما من الغرب فمنطقة أمالو، كما يليها من الجنوب والجنوب الغربي منطقتي بني ورثيلان وبوحزمة (الخريطة رقم 02)⁽¹¹⁾.

3. النظام التخطيطي لقرية بني خيار وموقعها

1.3. موقع قرية بني خيار

تقع القرية بالضفة اليمنى لحوض الصومام، تابعة لعرش بني معوش وتبعد عن هذه الأخيرة بحوالي ستة (06) كلم، واقعة بالجهة الجنوبية الشرقية منها (الخريطة رقم 02)، إذ وهي على ارتفاع 1050م عن مستوى سطح البحر.

2.3. النظام التخطيطي للقرية

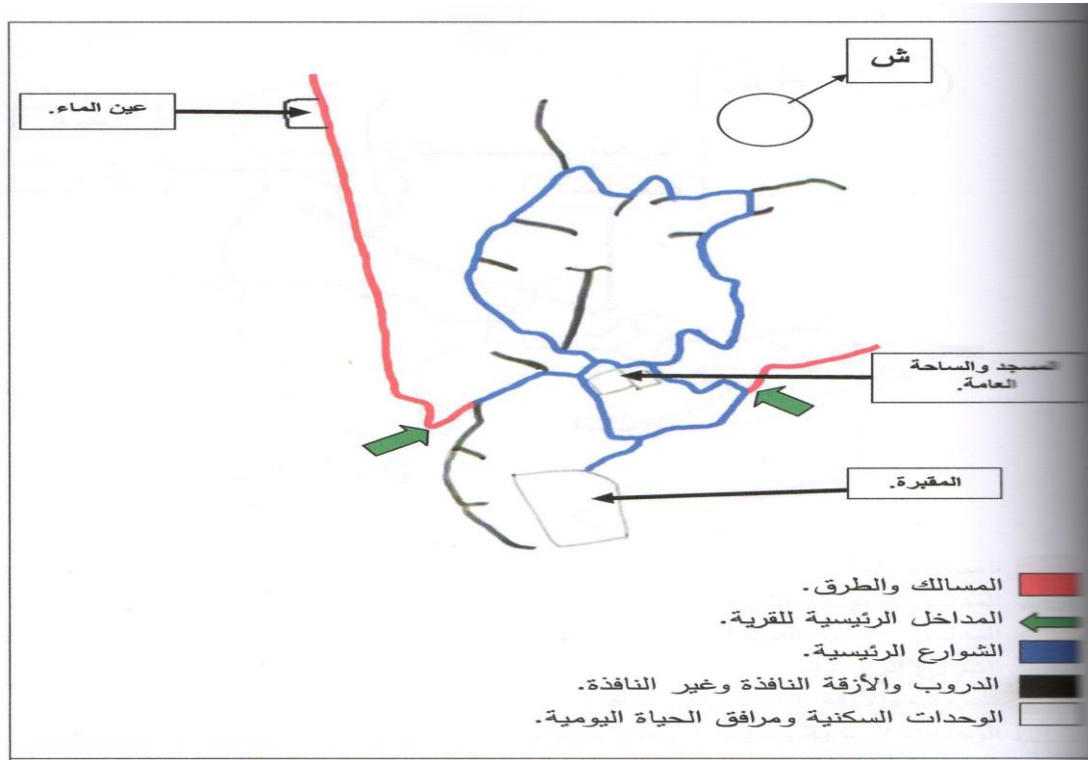
تميزت قرية بني خيار بتوضعها فوق هضبة جبلية مطلة على قرى ثلاث (قرية تافنيت إيغيل، وقرية أكور، وقرية أقمون) (الصورة الجوية رقم 01)، يفضي إليها عن طريق مدخلين رئيسيين الواقعان واحد بالجهة الشرقية المؤدي مباشرة إلى المسجد الجامع المتقدم بالقرية، أما المدخل الرئيسي الثاني فنجدته واقع بالجهة الجنوبية، وسلكه يصل مباشرة إلى المسجد أيضاً، والذي يعتبر نقطة التقاء المدخلين الرئيسيين، ومن هذه النقطة يمكننا الوصول باتجاه الشرق إلى المقبرة التي تحتل مساحات شاسعة من المحيط الخارجي للقرية، وباتجاه الغرب إلى الوحدات السكنية الظاهرة عليها التلاحم والتراص فيما بينها، هذا ما يكون سورا حاميا للقرية بالجهة الخارجية، هذا ما يظهر جليا في الجهة الغربية للقرية.

تقع الساحة العامة الممثلة لقضاء تاجمعت بالقرب من المسجد، والواقعة في الجهة الغربية من القرية، ويتضح لنا من خلال المعاينة الميدانية للقرية وجود أقدم المساكن التقليدية بالقرب من المسجد، باتجاه المدخلين الرئيسيين الشرقي والجنوبي (الصورة رقم 01).

إن العناصر الأساسية المشكلة للقرية بداية بالمدخلين الرئيسيين الذين يرتبطان أساسا بالشوارع الرئيسية المتخللة لسكناتها إما بصورة مباشرة أو عن طريق الدروب والأزقة النافذة وغير النافذة، والتي بدورها تفضي إلى

المساكن أو الحارات الخاصة (غير النافذة) بعائلة من العائلات المكونة للتعداد السكاني للقرية، هذا من جهة ومن جهة أخرى الأخذ بعين الاعتبار أن هاته القرية مكونة من قسمين الأول يعرف بالحارة أوفلى الواقع في أعلى نقطة بالقرية، والثاني يعرف بالحارة وادي الذي يقع أسفل منها، حيث أن الرابط الأساسي بين الحارتين أفلو ووادي هي الشوارع الرئيسية المتعرجة والملتوية في بعض النقاط، كما تأخذ شكل الانحدار الشديد ويعود ذلك إلى طبوغرافية المنطقة.

يعتبر هذان المدخلين الرئيسيين أيضا كمنفذين يؤديان نحو الساقيات والأسبلة والآبار الموزعة حول المحيط الخارجي للقرية، هذا من جهة ومن جهة أخرى هما منفذين يقودان إلى الحقول والأراضي الزراعية الموزعة أيضا بمحيطها الخارجي، وهذا ما يعطي للقرية نمطا زراعيا وفلاحيا بالدرجة الأولى من حيث الوظيفة، مع العلم أن القرية تتوفر على الأراضي الزراعية وحقول أشجار الزيتون والتين ذات عائدات مالية للمسجد، هذا ما يعرف بالأوقاف والحبس (إحرقان نلجمع)، وتستغل في ترميم المسجد والمدرسة القرآنية، تهيئة المقبرة، وما زاد عنها يخصص من طرف شيخ القرية ونظام ثاجمث لإعادة تهيئة المرافق العامة وفق نظام التوزيع. يظهر لنا من خلال المخطط العام للقرية اتخذها الشكل الطولي، هذا ما يعطينا نمطا خطيا من تخطيطها العام (المخطط رقم 01).



المخطط 01: قرية بني خيار. / السلم: 300000/1. المصدر: من إعداد الباحث.

4. العنصر المشكلة للقرية

نرتكز في هذا المحور على دراسة العنصر المكونة لقرية بني خيار معماريا وصفيا، بحيث قمنا بأخذ عينات منها، والتي مازالت تحتفظ بوحدها وعناصرها المعمارية، والممثلة فيما يلي:

1.4. العماير الدينية

1.1.4. المسجد

يقع المسجد على مدخل القرية بالجهة الشرقية لها، هذا ما يدل على أنها كانت مركزاً لعبور القوافل التجارية وعابري السبيل، لعدم تمكن الغرب من الدخول إلى وسط القرية حفاظاً على حرمتها وحرمة ساكنيها⁽¹²⁾، ويعدّ هذا المسجد من بين المساجد الريفية المنتشرة بمنطقة حوض الصومام، وحسب الروايات الشفوية المحلية المتداولة فإن هذا الأخير يعود إلى بداية نشأة القرية، كما تثبتته حالته الآنية وقدم مواده البنائية، رغم عدم ذكره في المصادر والمراجع التاريخية؛ ويتخذ المسجد في مجمله شكلاً مستطيلاً (المخطط رقم 02)، محتويًا على واجهات أربع، أهمها الواجهة القبليّة الشرقية المتوجة بست (06) فتحات كبرى تقوم على أعمدة مربعة الشكل ترتكز عليها عقود نصف دائرية، استعملت فتحتين من هذه العقود كمداخل لرواق المسجد، أما الجدار الجنوبي فحوى بركنه الأيمن مدخلين الأول متوج بعقد نصف دائري، والذي يؤدي إلى الرواق الأمامي الأول غير المسقوف وعلى جانبيه الأيسر مدخلان يؤديان إلى الرواق الأمامي الثاني المسقوف، هذا من جهة ومن جهة ثانية نجد مدخلاً ثانياً مسدوداً على الجانب الأيسر للمدخل الأول بالجدار المؤدي لغرفة صغيرة، والمستعملة كميضأة للمصلين حسب ما يداوله أهل المنطقة، إضافة إلى احتواء الجدار على نافذتين مستطيلتي الشكل بالجهة اليسرى للمدخلين، أما فيما يخص الجدار الغربي فيحوي مقعداً على طوله حيث تقام فيه تاجمعت القرية، وفي جداره الشمالي الملاصق للمدرسة القرآنية فحوى أدراجاً مؤدية إلى الطابق الثاني للمدرسة (الصورة رقم 02).

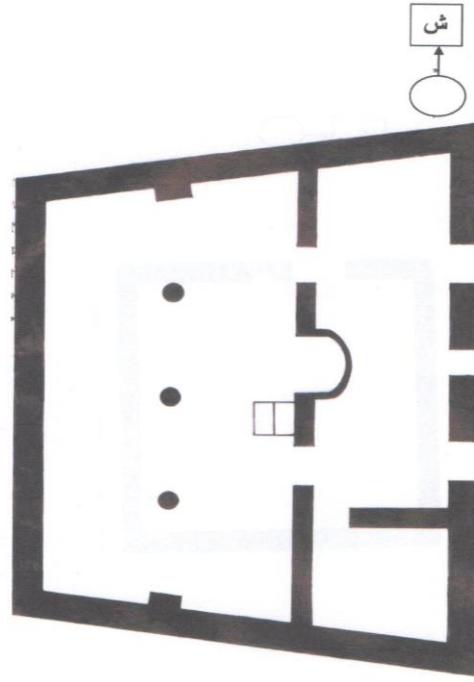
ويتقدم هذا المسجد رواقين مستطيلي الشكل الأول يتم الدخول إليه عن طريق مدخل بالجهة الجنوبية للمسجد، أما الثاني الذي يفضي إليه بواسطة مدخلين واقعين بالجهة الشرقية للرواق والمسجد ككل، كما حوت هذه الجهة على أربع فتحات معقودة بعقود نصف دائرية المطلة على الرواق الثاني المكشوف، أما بالجدار المقابل الذي يمثل الجدار الخلفي للرواق والواجهة القبليّة الخارجية لبيت الصلاة، فبه محراب أوسط ذو حنية محدودة بارزة نحو الخارج تعلوها فتحة مستطيلة الشكل للإضاءة والتهوية، متوجاً بشكل هرمي نصفي، يكتنف المحراب مدخلان رئيسيان لبيت الصلاة، يوجد بكل واحد منهما مصراع خشبي مستطيل الشكل، أما بالجدارين الشمالي والجنوبي فحوى الأول مقعداً لجلوس المصلين يعلوه عقدان مفتوحان هذا من جهة، ومن جهة أخرى فنجد الثاني به غرفة مربعة الشكل صغيرة مستعملة كميضأة للمصلين حسبما يداوله أهل المنطقة؛ يتكون بيت الصلاة ذات الشكل المستطيل تقريباً من بائكة واحدة موازية لجدار القبلة وبذلك يوجد أسكوبان به يشكلان البائكة من اتصال ثلاث دعائم دائرية الشكل واثنان جانبيتان مدمجتان مع الجدار وكلها تحمل عقود نصف دائرية، يتوج الجدار القبلي لبيت الصلاة محراب وسطي بحنية داخلية نصف دائرية متوجاً بعقد نصف دائري من الأعلى، ويعلو الحنية فتحة مستطيلة الشكل مطلة على الرواق الأمامي

لغرض التهوية والإضاءة، وبالمحارب زخارف هندسية بسيطة (الصورة رقم 03)، وتكتنفه كوتان جداريتان المعقودتين بعقدين نصف دائريين، استعملتا لغرض وضع وسائل الإنارة، ويكتنفهما مدخلان رئيسيان لبيت الصلاة، وحوت هذه الجهة أيضا على درجتين التي تعتبران كمنبر للمسجد، أما فيما يخص الجدار الجنوبي فحوى على دعامة دائرية مدمجة مع الحائط، والتي قسمته إلى قسمين متساويين تقريبا، فبكل منهما نجد نافذة مستطيلة، استعملتا لغرض التهوية والإضاءة بيت الصلاة، ونجد هاتين النافذتين بدفة خشبية واحدة لكل منهما، بالإضافة إلى الجدار الغربي المحتوي على ثلاث كوات جدارية، أما بالجدار الشمالي فنجد دعامة دائرية مدمجة مع الجدار مقسمة إياه إلى قسمين كما هو الشأن للجدار المقابل، فبالقسم الأيمن منه المحتوي على كوة جدارية معقودة بالأعلى بعقد نصف دائري، أما فيما يخص القسم الأيسر من الجدار فلا نكاد نجد أية عناصر معمارية تذكر (الصورة رقم 04).

الجدول 1: مقاسات مسجد بني خيار

المساحة							
طول 9.35 م. عرض 7.36 م. = 68.81 م ²							
العناصر المعمارية				الوحدات المعمارية			
الارتفاع	العرض/العمق	الطول	العدد	العنصر	الارتفاع	العرض	الطول
1.98 م	//////	0.93 م	02	الأبواب الرئيسية	//////	//////	//////
1.90 م	//////	0.76 م	03	الأبواب الثانوية	//////	1.83 م	8.36 م
0.75 م	//////	0.55 م	04	النوافذ	//////	4.66 م	8.35 م
0.65 م	0.30 م	0.36 م	06	الكوات	//////	//////	//////
0.35 م	//////	0.62 م	01	المنبر	//////	//////	//////
1.76 م	//////	//////	05	الأعمدة	//////	//////	//////
1.86 م	0.60 م	0.72 م	01	المحارب	//////	//////	//////

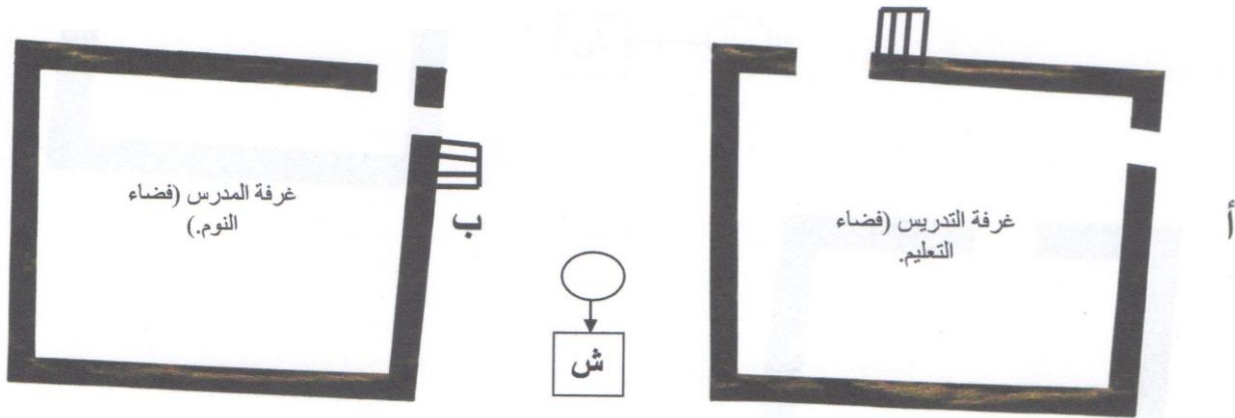
المصدر: من إعداد الباحث.



المخطط 02: مسجد قرية بني خيار/ السلم: 75/1 سم. المصدر: من إعداد الباحث.

2.1.4. المدرسة القرآنية

تتخذ المدرسة شكلاً مستطيلاً بها طابقان: أرضي (غرفة التدريس) وعلوي (غرفة المدرس) (المخطط رقم: 3)، يحدّها من جهتها الجنوبية المسجد الملاصق لها، ومن جهاتها الثلاث الأخرى فهي مطلّة على شوارع القرية. لقد تعرضت هذه المدرسة إلى تهديم سقفها الجملوني وجزء من جدار الجانب الأيسر للجهة الشرقية منها⁽¹³⁾. (الصورة رقم 04).



المخطط 03: المدرسة القرآنية قرية بني خيار/ السلم: 75/1 سم. المصدر: من إعداد الباحث.

2.4. العمائر المدنية

1.2.4. المسكن التقليدي

يقع المسكن التقليدي المدرّوس في حي من أحياء القرية المهجورة عن آخرها، بالجهة الغربية الجنوبية لها، وهو في حالة متدهورة نوعاً ما، لكنه مازال يحتفظ بعناصره المعمارية المكونة للمسكن التقليدي بصفة

عامة؛ ويتخذ المسكن بمجمل وحداته المعمارية (تغرغوث، أدانين، تعريش، وأفراق أو أمراح) شكلا مستطيلا (المخطط رقم: 4). يتم الدخول إلى المسكن عبر مدخل، وهو مشترك بين الغرفة المخصصة لساكني المسكن والغرفة المخصصة للحيوانات، فالغرفة الأولى المحتوية بجدارها الشرقي على باب ونافذة، أما بالجدار المقابل له فيه كوة جدارية مربعة الشكل، أما فيما يخص الجدار الشمالي المحتوي على دكانة مرتفعة (لكدر) تتخللها ست كوات جدارية (تكواثين). (الصورة رقم 05).

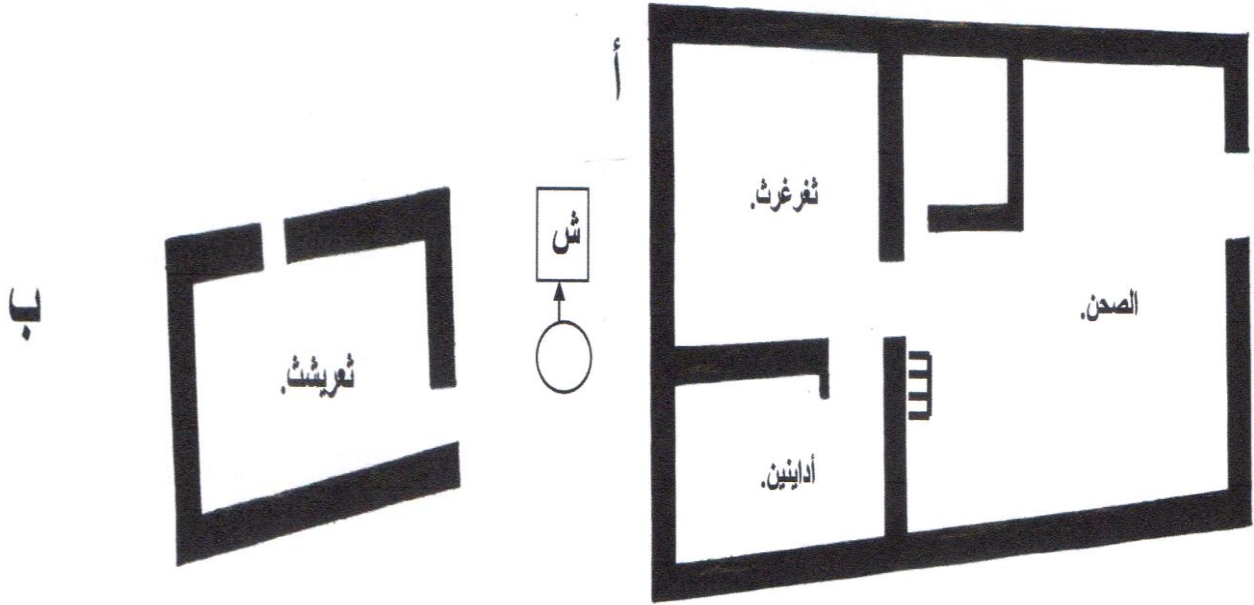
يتوج الجدار الجنوبي للغرفة مدخل مستطيل الشكل بالجهة اليسرى له مؤدي إلى أدانين، أما بالجهة اليمنى فنجد فتحة الغرض منها تقديم الأكل للحيوانات ومراقبتها، إضافة إلى احتواء الجدار على أدبر، كما نجد دعامة مربعة الشكل بين المدخل أدانين والفتحة المستطيلة الشكل، المحتوية على صخرة بارزة في وسطه مستخدمة كدرج للاتصال بالمدخل المستطيل الشكل المؤدي للغرفة العلوية وتعرف بثصدرات.

تحتوي الغرفة الثانية المستطيلة الشكل على الباب الرئيسي، والفتحة المستطيلة الشكل بجدارها الشمالي، أما بالجدار الشرقي فنجد لمذاود على طول الجدار، أما فيما يخص الجدارين الجنوبي والغربي فلا نجد أية عناصر معمارية تذكر؛ فوق أدانين مباشرة نجد تعريش وهي الغرفة المخصصة لجمع المؤونة، فحوت مدخلين: الأول واقع بالجهة الشمالية والمطل على تعريش، والثاني واقع بالجهة الشرقية والمطل على الصحن مباشرة، بالإضافة إلى نافذة مستطيلة الشكل بالجهة الجنوبية.

الجدول 2: مقاسات المسكن التقليدي بقرية بني خيار

طول 8.4 م X عرض 4.89 م = 41.07 م ²					المساحة			
العناصر المعمارية					الوحدات المعمارية			
الارتفاع	العرض/العمق	الطول	العدد	العنصر	الارتفاع	العرض	الطول	الوحدة
1.80 م	//////	1.20 م	02	الباب الرئيسي	//////	3.63 م	4.38 م	الصحن
1.80 م	//////	1.56 م	01	الأبواب	3.48 م	2.47 م	2.94 م	تغرغوث
1.20 م	//////	0.78 م	03	الثانوية بدفة واحدة				
0.80 م	//////	0.65 م	02	النوافذ	1.97 م	1.65 م	2.96 م	أدانين
0.50 م	0.36 م	0.30 م	07	الكوات	1.47 م	1.65 م	2.96 م	تعريش
0.95 م	0.60 م	1.30 م	01	لكدر	//////	1.27 م	1.60 م	غرفة واحدة
0.60 م	0.50 م	1.05 م	01	أدبر	//////	//////	//////	////// /

المصدر: من إعداد الباحث.



المخطط 03: المسكن التقليدي قرية بني خيار/ السلم: 75/1 سم. المصدر: من إعداد الباحث.

3.4. المرافق العامة

1.3.4. معاصر الزيتون

لم نجد أي أثر لمعصرة الزيتون بالقرية، على عكس ما تم ملاحظته ميدانيا بتوفرها على حقول من أشجار زيتون، إذ أن لكل عائلة منها على الأقل خمسة حقول، وكان يحول إلى معاصر الزيتون المنتشرة بالقرى المجاورة بحسب ما تداوله أهل المنطقة⁽¹⁴⁾.

2.3.4. الشوارع

يعتبر الشارع الرابط الرئيسي بين المعالم الأثرية المعمارية الموجودة بالقرية (الصورة رقم 06) وهي مقسمة كما يلي:

1.2.3.4. الشوارع الرئيسية

لقرية بني خيار ممرا رئيسيا واحدا معروف باسم شارع المسجد، يأخذ شكلا متموجا ممتدا في الغالب من الشرق إلى الغرب بطول حوالي 110 مترا، وعرضه يتراوح ما بين 2م إلى 3م، ومن مواصفاته انكسار في زواياه، اتخذ شكلا مرتفعا كلما اتجهنا نحو الغرب (بحسب طبيعة المنطقة)، تبليط أرضيته في غالب الأحيان طبيعي، الرابط الأساسي بين المسجد والساحة العامة كونهما متقدمين للقرية ومساكنها، كما يعتبر الأكثر استعمالا من طرف العامة الناس.

2.2.3.4. الشوارع الثانوية النافذة وغير النافذة

تتفرع قرية بني خيار بثلاثة مسالك ثانوية نافذة، تأخذ شكلا متموجا أيضا وهي ممتدة في الغالب من الشمال إلى الجنوب، الأول بطول حوالي 23 مترا، الثاني حوالي 33.60 مترا، والثالث حوالي 36.4 مترا، أما

فيما يخص عرضها فيتراوح ما بين 0.95 م إلى 1.15 م، ومن مميزاتها انكسار في زواياها، تبليط أرضيتها في غالب الأحيان طبيعي، ويعد الرابط الأساسي بين الشارع الرئيسي والمنشآت المعمارية (الدينية، السكنية....)، بالإضافة إلى الممرات غير النافذة وعددها حوالي 09 دروب طولها يتراوح ما بين 9 م إلى 12 م، وعرضها يتراوح ما بين 0.95 م إلى 1.15 م، وهي ذات مواصفات مذكورة سالفًا، بالإضافة إلى أنه غير مستعمل من طرف عامة الناس إلا أهل ذلك الحي، وتعرف باسم العائلة الساكنة بهذا الحي كشارع إثمارة الواقع بالجهة الشمالية الغربية للقرية.

3.3.4. المنشآت المائية

يتم تزويد القرية بالمياه من خارجها عن طريق الآبار المحفورة بفعل الإنسان (البير) والتي يصل عمقها إلى حوالي عشرين (20) مترا بالبساتين المجاورة لها.

4.3.4. الساحة العامة

تعتبر الساحة العامة المعروفة محليا بأزنيق مجال عمراني فارغ مكشوف على الهواء الطلق، محاذية للمسجد وواقعة بجهته الغربية، محتوية على مصطبة للجلوس على طولها، فدورها يتمثل في إقامة تاجمعت للنظر في الشؤون الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية للقرية، ويكون ذلك مرة في الأسبوع (الصورة رقم 02).

5.3.4. المقابر

تقع مقبرة القرية في مستوى مرتفع شرقي القرية، تبعد عنها حوالي 10 مترا، متربعة على مساحة مقدرة بحوالي 2400م²، وتتوزع بها مجموعة من القبور التي تأخذ أحجاما مختلفة، بحيث هناك بعض الهياكل العظمية البارزة إثر انجراف التربة من الأمطار، وهي غير مستعملة في الفترة الحالية (الصورة رقم 07).

5. دراسة تحليلية ومقارناتية للعمائر المكونة للقرية

تأريخ القرية نسبيا بالقرن التاسع عشر للميلاد (19م) بحيث بنيت في حوالي 1813م-1815م من خلال ما استقرأنه من الروايات الشفوية، أما فيما يخص تسميتها ببني خيار فقد أكدت هذه الأخيرة أن العائلة الأولى الساكنة بالمنطقة تسمى خيارى وبهذا أخذت هذه التسمية⁽¹⁵⁾، مع العلم أن هذه القرية واقعة على قمة سفوح الجبال وذلك للغرض الأمني بالدرجة الأولى (رؤية العدو من كل الجهات)، حيث نجد بها التكوينات العمرانية الأساسية المكونة للقرية وتمثلت فيما يلي:

تعدّ المساجد الريفية من أهم المنشآت والمباني الرئيسية الضرورية في القرى والأرياف بمنطقة بني معوش وقرية بني خيار خصوصا، وهي بمثابة الركيزة الأساسية لها، وهذا راجع لما تؤديه من دور فعال في كل من المجالات التالية: المجال الديني الذي يأتي بالدرجة الأولى، ودور هذه المساجد يتمثل في تأدية الصلوات الخمس فيها وكذا صلاة الجمعة؛ المجال التعليمي بحيث تعتبر هاته المساجد مركزا للإشعاع التعليمي كحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك تعليم القراءة والكتابة، هذا ما يعطيها دور المدرسة القرآنية؛ ضف إلى ذلك المجال الاجتماعي بحيث يكون المسجد كمقر مهم لاجتماعات وحلّ النزاعات والخلافات

الموجودة بين أفراد سكان القرية الواحدة أو مع القرى المجاورة، وكذا يمكن أن يكون عبارة عن مأوى لعابري السبيل، على عكس ما هو معروف من تخصص لفضاءات بيت السبيل في قرى أخرى، وكمثال على ذلك مسجد سيدي بومرزوق بقلعة بني عباس⁽¹⁶⁾، المجال الاقتصادي حيث يتم تخصص مكان معين في هاته المساجد الريفية بمثابة مكان لتخزين المؤونة المتمثلة في الزيتون والتين والحبوب المستخرجة من البساتين والحقول التابعة لها، بغرض ترميمها وإعطاء الصدقات للفقراء، ودفع مستحقات الشيوخ والمدرسين؛ والمسجد الجامع الذي يعتبر أول منشأة معمارية بنيت بالقرية على الرغم من موقعه عند المدخل الشمالي لها، وعلى سبيل المثال نذكر مسجد تزخيث بمنطقة بني معوش الواقع بمدخل القرية⁽¹⁷⁾، وهذا الاختلاف راجع إما إلى الطبيعة الطبوغرافية للموقع الذي شيدت فيه القرى الريفية عموماً وقرية بني خيار خصوصاً، مما جعل المسجد يأخذ مواقع متباينة، أو يعود السبب في ذلك إلى اختيار موضع المساجد في الأماكن الأكثر حركية بالنسبة لسكان القرية الواحدة، أثناء خروجهم إلى مزارعهم ووقت عودتهم إلى مساكنهم الخاصة، كما يمكن أن يكون السبب أيضاً راجعاً إلى تمكين الغرباء وعابري السبيل من إقامة الصلاة فيها دون دخولهم إلى أرجاء القرية، حفاظاً على الحرمة، ومن هنا يتبين لنا أن الاحتمال الأول أكثر منطقية باعتبار أن المناطق التي شيدت فيها القرية هي عبارة عن مرتفعات جبلية، مما يصعب بناء المسجد في وسطها⁽¹⁸⁾، ويتميز المسجد معمارياً بالبساطة من حيث التخطيط (شكل مستطيل) والزخرفة (تتعدى الزخرفة تماماً)، المعبر عن نمط ريفي منتشر في معظم المساجد الريفية بمنطقة القبائل على العموم، بحيث تعددت الأنماط المشابهة له على غرار ما نجده بجامع صدوق العليا، وجامع تامقرة⁽¹⁹⁾، بالإضافة إلى المساجد الريفية بقلعة بني عباس كما هو الشأن بمسجد محمد بومزوغ⁽²⁰⁾، وفي بعض المساجد العثمانية مثل جامع كنتشاة بالجزائر العاصمة⁽²¹⁾، والمساجد الصحراوية كالجامع العتيق بالأغواط، والآخر بتاجموت⁽²²⁾، وكما نجد هذه البساطة والرمزية في العمارة عند المرابطين، حيث تميزت عمارتهم الدينية بالبساطة في شكلها وعدم تكلفها⁽²³⁾، والمسجد الجامع بقرية بني خيار يتكون من ثلاثة وحدات معمارية (بيت الصلاة، والرواقان الأماميان)، تتدرج ضمنه عناصر معمارية تمثلت في المحراب (المركزي البسيط)، المنبر الحجري، العقود الموازية للجدار القبلة، الأعمدة الحاملة للعقود، الأبواب، النوافذ، والكوات الجدارية هذا من جانب ومن جانب آخر، فتسقيفه ذو النمط الجملوني المنتشر بكثرة في المنطقة، ويعود ذلك للتساقط الكثيف وتراكم الثلوج، وهذا ما نجده في أغلب مساجد الريف البجائي.

المدرسة القرآنية المحاذية للمسجد الجامع، بسيطة معمارياً وفنياً (تخلو من الزخارف) والتمتيزة بالوحدة شكلاً ومضموناً، فهي مهتمة بتدريس القرآن الكريم واللغة العربية على غرار المدارس القرآنية المنتشرة بالقرى الريفية بمنطقة بني معوش⁽²⁴⁾، والقرى المجاورة لها على غرار قرية أذرار التي تأسست سنة 1939م، ومدرسة قرية عجيسة التي أسست سنة 1942م⁽²⁵⁾.

المساكن التقليدية المتراسة والمتلاحمة فيما بينها، والتي استخلصنا منها النمطية من حيث التخطيط المنتشر بالقرية والمتمثلة في نمطين: الأول مركب تخطيطياً إذ نجد فيه أكثر من أربعة وحدات معمارية، يندرج

ضمنه حوالي ثلاثة وثلاثون (33) مسكنا، والثاني بسيط تخطيطيا حوت به ثلاث وحدات معمارية (ثغرغرت، أدابين، تعريشت)، المدرج تحته حوالي ستون (60) مسكنا، أما فيما يخص العناصر الزخرفية فنجدها منعقدة في كلا النمطين، علما أن هذه المساكن تمتاز بعناصر معمارية تتكرر في أغلبها على غرار ما نجده منتشرا بالقرى الريفية ببجاية.

الشوارع المشكلة من خلال ترك الفراغات بين المنشآت المعمارية المكونة للقرية، إذ لاحظنا ميدانيا وجود مسلك واحد متميز بالالتواء، الاتساع، انكسار في الزوايا، الانحدار، وهو متجه في الغالب شرق-غرب، بالإضافة إلى تفرعه إلى مسالك نافذة وأخرى غير ذلك، وتمتاز هذه الأخيرة بنفس مواصفات الشارع الرئيسي ما عدا الاتساع (أقل اتساعا)، وكذا الاتجاه التي نجدها في الغالب موجهة شمال-جنوب، علما أن هذه الشوارع تؤدي عدة وظائف من بينها الوظيفة الاجتماعية (التنقل فيها)، والوظيفة الاقتصادية (إقامة صناعات في الهواء الطلق كصناعة الحدادة، صناعة السلالة... الخ).

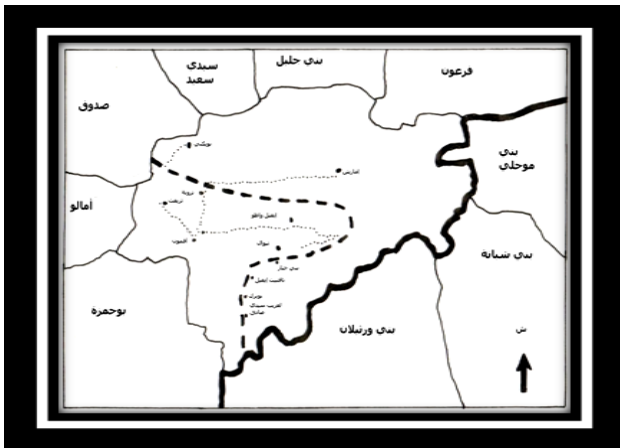
تعد الساحة العامة من التكوينات العمرانية الأساسية بالقرية، وهي غير مغطاة (مكشوفة) محاذية للمسجد الجامع، ذات وظيفة اجتماعية بالدرجة الأولى بإقامة تاجمعت بها. المقبرة تشغل حيزا فارغا من القرية، وهي قديمة جدا غير مزولة لوظيفتها.

خاتمة

من خلال دراسة قرية بني خيار ومعالمها المكونة لها (العمائر الدينية: المسجد الجامع والمصلى - العمائر المدنية: المساكن التقليدية - المرافق العامة: معاصر الزيتون، الساحة العامة، الشوارع بأنواعها، والمقابر) تبين لنا أن القرية تزخر بتراث عمراني ومعماري متنوع وأصيل، علما أن قرية بني خيار ذات عمران شامل يتكون من عناصر بشرية ثقافية طبيعية واقتصادية مترابطة على هيئة بناء مرصوص يجسد وحدة السكان؛ ما يمكن قوله ختاماً عن التفاصيل العامة للعمارة التقليدية بالقرية المدروسة، أنها اتسمت بالوحدة شكلا ومضمونا، عدا ما نجده من مميزات وخصائص نادرة الوجود تفرضها المساحة المستغلة لتشكيل هذه العمائر من حيث التوزيع والتقسيم؛ إن هذه العمائر المكونة لقرية بني خيار في مجملها إن دلت على شيء إنما تدل على أصالة أمة ووحدة طراز، وهوية قسم من أقسام هذا الوطن المبرزة لتجذر هذا المجتمع المحلي في أعماق التاريخ، وسعيه لمسايرة الحداثة مع الحفاظ على الأصل.

لكن لا ننسى كذلك أن ننوه بما آلت إليه القرية من حالة يرثى لها من التهدم والسقوط الكلي أو الجزئي، وهذا كله ناتج إما عن الترك والهجر أو عن اللامبالاة ونقص روح الوعي الثقافي والفكري الأثري لدى سكان المنطقة للسعي وراء الحفاظ على ما تبقى من المنشآت الأثرية، وكذا إنشاء جمعيات أثرية وتاريخية تسعى للحفاظ على هذا الزخم التراثي الكبير بما يمثله من رمزية وأصالة للمجتمعات المحلية والوطنية.

القرى الريفية بمنطقة بني معوش (بجاية) - قرية بني خيار أنموذجا - دراسة معمارية أثرية



الخريطة رقم 2: الخريطة الإدارية لبلدية بني معوش.
السلم: 100000/1



الصورة رقم 1: منظر عام للقرية بني خيار



الصورة رقم 3: محراب ومنبر مسجد بني خيار



الصورة رقم 2: مسجد بني خيار



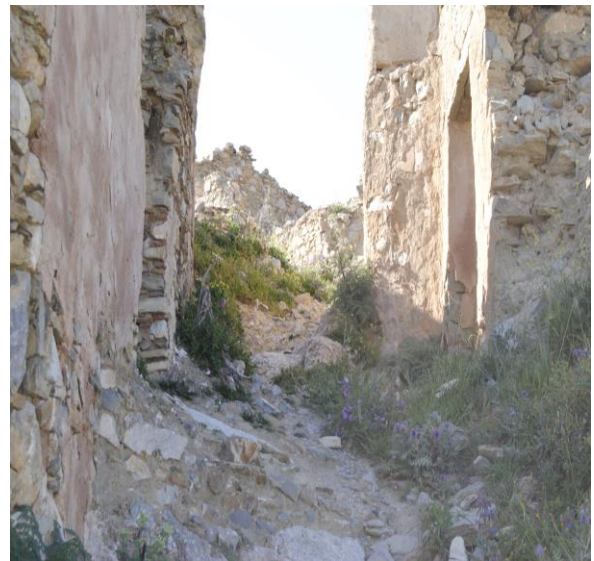
الصورة رقم 5: مسكن بقرية بني خيار



الصورة رقم 4: المدرسة القرآنية والمسجد الجامع بالقرية



الصورة رقم 7: المقبرة بقرية بني خيار



الصورة رقم 6: الشوارع بقرية بني خيار

- (1) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب، دار المعارف، كلمة قرى، ص 3617. وأنظر أيضا: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، أخرجه مجموعة من الدكاترة، الجزء الثاني، ط2، 1975، ص ص. 732.
- (2) عبد الرحيم (غالب)، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، 1988، ص. 732.
- (3) سورة الكهف الآية: 59.
- (4) سورة الزخرف الآية: 31.
- (5) Adam (A), **Hespéris, Archives berbères ... des hautes études marocaines**, année 1950, 1^{er} et 2^{eme} TR, librairie Larose, Paris, P.293.
- (6) Basagana(R) et Sayad(A), **Habitat traditionnel et structures familiales en Kabyles**, Mémoires du CRAPE Tome XXIII, Alger, 1974, P. 57.
- (7) Camille (L. D), **Un Village Algérien structures et évolution récenté**, société nationale, Alger, 1976, P.07.
- (8) Letourneux(A) et Hanoteau (A), **La Kabylie et les coutumes Kabyles** –Ed Augustin challamel Editeur Librairie Algérienne et coloniale, 2^{eme} édition, Paris, 1893, P.07.
- (9) Camille (L. D), Op. Cit, P.10.
- (10) فؤاد (بوزيد)، العمران والعمارة الريفية التقليدية بمنطقة حوض الصومام-دراسة أثرية نموذجية-، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2017، ص. 29.
- (11) مصلحة التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية بجاية.
- (12) عبد الكريم (عزوق)، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008، ص. 70.
- (13) فؤاد (بوزيد)، "المدارس القرآنية بالريف البجائي"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد: 16، العدد: 04، 2019، ص 197.
- (14) الرواية الشفوية للسيد مختاري عبد الله البالغ من العمر 89 سنة.
- (15) الرواية الشفوية للسيد مختاري عبد الله البالغ من العمر 89 سنة.
- (16) عبد الحميد (بودرواز)، قلعة بني عباس ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين (العاشر والثالث عشر الهجريين)-دراسة أثرية نموذجية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011، ص. ص. 101-104.
- (17) فؤاد (بوزيد)، العمران والعمارة الريفية التقليدية، المرجع السابق، ص. 99.
- (18) المرجع نفسه، ص. 100.
- (19) عبد الكريم (عزوق)، المرجع السابق، ص. ص. 61-65.
- (20) عبد الحميد (بودرواز)، المرجع السابق، ص. ص. 117-120.
- (21) Bourouiba (R), **L' Art religieux Musulman en Algérie**, S.N.E.D. Alger, 1983, P. 43.
- (22) حملاوي (علي)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، الصندوق الوطني للترقية الفنون والآداب، تطويرها وزارة الثقافة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص. 190.
- (23) Marçais(G), **L'Architecture Musulmane d'ocident, Tunisie Algérie Maroc**, Paris. 1954, P.41.
- (24) فؤاد (بوزيد)، المدارس القرآنية بالريف البجائي، المرجع السابق، ص 197.
- (25) محمد أرزقي (فرد)، إطلالة على منطقة القبائل، دار الأمل، 2007، ص. ص. 16-18.